ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٦١) - اعرف امامك (ج٦٠)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(53)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق٣٠)
الشأن (٤) - التعمق في عقيدة التوحيد (ج٤)
السبت : ١/ذو القعدة/١٤٤٢هـ - الموافق ١٢/٦/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

تسلسلتُ في الحديث حتَّى وصلتُ إلى ذكر الآية الحادية والستين بعد البسملة من سورة آل عمران، إنَّها آيةُ المباهلة نعرفها بهذا الاسم: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ** - في عيسى، المباهلةُ بين نبينا ونصارى نجران الحادثةُ المعروفة - **فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾.
الإشارةُ في الآية إلى ما جاء من كلام رسول الله عن سيد الأوصياء: ﴿**وَأَنفُسَنَا**﴾ ، الآيةُ تتحدثُ عن أنَّ مُحَمَّداً هو عليّ وأنَّ علياً هو مُحَمَّدٌ ولكن بوجهٍ من الوجوه، مُحَمَّدٌ هو علي، علي هو مُحَمَّدٌ إلَّا أنَّ مُحَمَّداً هو مُحَمَّد وعلياً هو علي.
وإذا دقَّقنا النَّظر في هذا التعبير؛ ﴿**وَأَنفُسَنَا**﴾ ، فإنَّ المتكلِّمَ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله، وإنَّهُ وَصَفَ علياً بهذا الوصف، فنَسبَ علياً إليه ﴿**وَأَنفُسَنَا**﴾، وهذا يُشيرُ إلى أنَّ الأصل مُحَمَّدٌ، وأنَّ الفرع علي..
في مضمونِ أدعيتهم وزياراتهم يتجلَّى هذا المعنى صَريحاً واضحاً:
الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة ماذا نقرأ فيها؟ أقرأ عليكم من مفاتيح الجنان: (**وَأَنَّ أَرْوَاحَكُم** - صيغةُ جمع واضحة - **وَأَنَّ أَرْوَاحَكُم**)، يمكننا أن نقولَ: وأنَّ رُوحَكُم من حيثيّة، وأنَّ أَرْوَاحَكُم من حيثيّةٍ أخرى.
(**وَأَنَّ أَرْوَاحَكُم وَنُورَكُم** - ويمكننا أن نقول: وَأَنْوَارَكُم من حيثيّة، وَنُورَكُم من حيثيّة أخرى - **وَأَنَّ أَرْوَاحَكُم وَنُورَكُم وَطِينَتَكُم وَاحِدَة** - التعبيرَ بالطينة الواحدة هو هو المضمونُ الَّذي تحدَّثت عنهُ آية المباهلة - **وَأَنَّ أَرْوَاحَكُم وَنُورَكُم وَطِينَتَكُم وَاحِدَة طَابَتْ وَطَهُرَت بَعْضُهَا مِن بَعض** - **بَعضُها من بَعض** - ما هي بحقيقة واحدة في جميع الحيثيّات، في جميع الاتجاهات، أصلها حقيقةٌ واحدة إنَّها الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّة، لكنَّ المَقام الَّذي تتحدَّثُ عنهُ الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة هو مقامُ التجلّي في مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ الَّذين هُم بينَ أظهرنا، حيثُ تجلَّت الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ فيهم بجمالها وجلالها وعظمتها وكمالها، فالحديثُ في أجواء الزيارة الجامعة الكبيرة في هذا المقام.
-**خَلَقَكُم اللهُ أَنْوَاراً** - هذه أنوارُ الحقيقة الـمُحَمَّديَّة - **خَلَقَكُم اللهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُم بِعَرشِه مُحْدِقِيْن حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُم** - مُحَمَّدٌ هوَ الأوّل، وعليٌ هو الثاني، وفَاطِمَةُ هي الثالثة، وهكذا من المجتبى إلى القائم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، هذه المضامينُ تأتي وفقاً لهذا السياق الَّذي يتوافقُ فيه ظاهرهم مع باطنهم في جميع الاتجاهات وبملاحظة كُلّ الحيثيّات، هذا المنطقُ هو المنطقُ الَّذي هُندست فيه زياراتهم بأجمعها، وهُندست فيه الأدعيةُ وفقاً لمنظومة متكاملة تتسيّدها الأسماءُ الحُسنى ومظاهرُ الأسماء الحُسنى، هذا المنطقُ هوَ المنطقُ الحاكمُ في آيات القُرآن المفسّرة بتفسيرهم، وهوَ المنطقُ الحاكمُ في كُلِّ منظومة أدعيتهم وزياراتهم، وهي منظومةٌ هائلةٌ واسعة، والمنطقُ هوَ هوَ الحاكمُ في كُلِّ أحاديثهم ورواياتهم وخُطبهم الطويلة وكلماتهم الموجزة القصيرة، بيعةُ الغدير في مضمونها وتفاصيلها تُحدِّثنا بإيجازٍ وبإجمالٍ عن كُلِّ هذه الحقائق.
في حديثِ المعرفة بالنُّورانيّة إنَّهُ الحديثُ المروي عن سيّد الأوصياء:
في الجزء السادس والعشرين من (بحار الأنوار) للشيخ المجلسي / طبعةُ دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان / في الصفحة السادسة الإمامُ يخاطبُ سلمان وأبا ذر: **يَا سَلْمَانُ وَيَا جُنْدَب** - وجُنْدَب هو أبو ذرّ - **يَا سَلْمَانُ وَيَا جُنْدَب، أَنَا مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ أَنَا** - ولرسول الله كلمةٌ أيضاً (أَنَا عَلِيٌّ وَعَلِيٌّ أَنَا)، بعد هذه الكلمة مباشرةً ماذا يقول؟: **وَأَنَا مِن مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٌ مِنِّي** - هذه الجملةُ هي الَّتي تُفسِّرُ لنا الجملة السابقة من أنَّ الوحدة والتطابق بينهما بوجهٍ من الوجوه، لا من جميع الوجوه.
في نُسخة حديث المعرفة بالنُّورانية فيما رواهُ رجبُ البُرسي في المشارق، طبعةُ مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، لبنان، صفحة (١٦٠) وما بعدها، ممَّا جاء في كلامِ أمير المؤمنين مع سلمان وأبي ذرّ: **يَا سَلْمَانُ وَيَا جُنْدَب** - وجُنْدَب هو اسمُ أبي ذرّ - **يَا سَلْمَانُ وَيَا جُنْدَب، كُنْتُ** - الأميرُ يتحدَّثُ عن نفسه عن ذاته - **كُنْتُ وَمُحَمَّدٌ نُوْراً نُسَبِّحُ قَبْلَ الْمُسَبِّحَات وَنُشْرِقُ قَبْلَ الْمَخْلُوقَات** - الإمامُ يُشيرُ إلى الحقيقة الـمُحَمَّدية العُظمى - **فَقَسَمَ اللهُ بِذَلِك النُّوْر نِصْفَيْنِ نَبِيّ مُصْطَفَى وَوَصِيّ مُرْتَضَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِذَلِكَ النِّصْف كُنْ مُحَمَّداً وَلِلآخَر كُنْ عَلِياً، وَلِذَلِك قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وآله: "أَنَا مِنْ عَلِيٍ وَعَلِيٌ مِنِّي"** - هذا كلامُ أمير المؤمنين صلواتُ الله وسلامهُ عليه.
إلى أن يقول وهو بصدد الحديث عن هذا المضمون عن العلاقة بين مُحَمَّد وعليّ: **لأَنَّهُمَا شَيءٌ وَاحِدٌ وَمَعْنًى وَاحِدٌ وَنُوْرٌ وَاحِدٌ اتَّحَدَا بِالْمَعْنَى وَالصِّفَة وَافْتَرَقَا بِالْجَسَد وَالتَسمية، فَهُمَا شَيءٌ وَاحِدٌ فِي عَالَمِ الأَرْوَاح؛ "أَنْتَ رُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيّ"** - مَا قَالهُ رَسُولُ اللهِ لِعَلِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِين - **وَكَذَا فِي عَالَمِ الأَجْسَاد؛ "أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْك تَرِثُنِي وَأَرِثُك، أَنْتَ مِنِي بِمَنْزِلَة الرُّوح وَالجَسَد"** - إلى بقية الكلام.
ما حدَّثنا به جابرٌ الجعفي في بدايات شبابه لَمَّا ذهبَ إلى المدينة وصاحبَ إمامنا السجَّاد صلواتُ الله وسلامهُ عليه يُحدِّثنا جابرٌ الجعفي عن إمامنا السجَّاد صلواتُ الله وسلامهُ عليه، سأقرأ موطن الشاهد وبعد ذلك أعودُ إلى التفاصيل، إمامنا السجَّادُ يُحدِّثُ جابراً عن المعرفة وشؤونها، من جملة شؤون المعرفة الَّتي حدَّثَ إمامنا السجَّادُ جابراً عنها: "**إِثْبَاتُ التَوْحِيْد وَمَعْرِفَةُ الْمَعَانِي**"؛
- إثباتُ التوحيد إنَّهُ الركنُ الأولُ من أركان عقيدتنا التوحيديّة، مرَّ الكلامُ بخصوصه.
- ومعرفةُ المعاني إنَّهُ الركنُ الثاني من أركان عقيدتنا التوحيديّة.
فيقولُ إمامنا السجّادُ لجابر: **وَأَمَّا الْمَعَانِي فَنَحنُ مَعَانيه** - نحنُ؛ مُحَمَّدٌ، عليّ، فَاطِمَة، أبناءُ فَاطِمَة من المجتبى إلى القائم، الَّذي يتحدَّثُ هنا هو السجَّادُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وكانَ الباقرُ حاضراً في المجلس - **وَأَمَّا الْمَعَانِي فَنَحنُ** - مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد - **فَنَحنُ مَعَانيه** - معاني الذَّات الأولى وإن كان الإمامُ يتحدَّثُ عن مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ الَّذينَ هُم بين أظهُرنا، لكنَّهُ يتحدَّثُ من الحيثيّة الَّتي هم يُمثِّلون الحقيقة الـمُحَمّديّة الَّتي هي وجهُ الله الأعظم.

وَأَمَّا الْمَعَانِي فَنَحنُ مَعَانيه وَمَظَاهِرهُ فيكُم، اخْتَرَعَنا من نُورِ ذَاته - ما قال الإمامُ اخترعنا من ذاته - نورُ ذات الله هي الحقيقةُ الـمُحَمَّديّة، "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ من نُورِكَ بِأَنْوَرِه" كما في دعاء السحر، فأنورُ النورِ الحقيقةُ الـمُحَمَّديّة، وهذا يتجلَّى فيهم صلواتُ الله عليهم، ومرَّ علينا في آية النور؛ ﴿**نُورٌ عَلَى نُورٍ**﴾، نورٌ على نور، إنَّها نوريّتهُ؛ ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ ، هذه المعاني تجلَّت في أنورِ نُوره في الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، والإمامُ السجَّادُ هكذا يقول: **اخْتَرَعَنا منْ نُورِ ذَاته وَفَوَّضَ إِلَيْنَا أُمُورَ عِبَادِه فَنَحْنُ نَفْعَلُ بِإِذْنِه مَا نَشَاء، وَنَحْنُ إِذَا شِئْنَا شَاءَ الله، وَإِذَا أَرَدْنَا أَرَادَ الله، وَنَحنُ أَحلَّنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الْمَحَلَ وَاصْطَفَانَا من بَينِ عِبَاده وَجَعَلَنَا حُجَّتَهُ فِي بِلَادِه** - الَحديثُ طويلٌ سأقرأ عليكم جانباً من هذا الحديث في طوايا هذه الحلقة.

سألخِّص لكم المطالب في حديثين شريفين ولن أطيلَ الوقوف عندَ الحديثين كي تكون بأيديكم صورةٌ مختصرةٌ موجزة.

الحديثُ الأول مرَّ علينا وقرأتهُ كراراً هو من أهمِّ الأحاديث في باب التوحيد:

في الكافي الشريف / الجزء الأول / بابُ المعبود من كتاب التوحيد / صفحة (١٠٩) بحسبِ طبعة دار الأسوة / طهران - إيران / الحديثُ الأوّل: **بسنده** - بسند الكليني - **عَن إمامنا الصَّادقِ صَلواتُ الله وسلامهُ عَليه: مَنْ عَبَدَ اللهَ بِالتَوَهُّمِ فَقَدْ كَفَر، وَمَنْ عَبَدَ الاِسْمَ دُوْنَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَر** - (**مَنْ عَبَدَ اللهَ بِالتَوَهُّمِ فَقَدْ كَفَر**) ، أن يتوجَّه إلى الله بالعبادة من دون جهةٍ يتوجَّهُ إليها هذا هو التوهُّم.

مَنْ عَبَدَ اللهَ بِالتَوَهُّمِ فَقَدْ كَفَر - مَن عَبَدَ اللهَ من دون أن يتوجَّهَ إلى الجهة الَّتي يُريدها الله، بالضبط كالَّذي يستدبرَ القبلةَ، فصلاتهُ باطلةٌ لأنَّه توجّه جسدياً إلى الجهة الَّتي لا يريدها الله، فحينما لا يتوجَّه معنوياً إلى الجهة الَّتي يريدها الله فإنَّ عبادتهُ عبادة كُفرٍ، إذا كانَ استدبار القبلة يؤدي إلى بطلان الصَّلاة لأنَّ استقبال القبلة هو من طقوس الصَّلاة من طقوس العبادة وهي تُمثِّلُ بدنَ الصَّلاة جسم الصَّلاة، أمَّا التوجُّهُ إلى وجه الله إلى الجهة الَّتي يريدُ اللهَ من عباده أن يتوجَّهوا إليها فهذا الحديثُ عن رُوح العبادة، عَن رُوح الصَّلاة.

مَنْ عَبَدَ اللهَ بِالتَوَهُّمِ فَقَدْ كَفَر، وَمَنْ عَبَدَ الاِسْمَ دُوْنَ الْمَعْنَى - إنَّها الأسماءُ بكُلِّ مراتبها أكانت في مرتبة الألفاظ ويكون التوجُّهُ من المصلِّي من العابد إلى الألفاظ، وليست العبادةُ محصورةً بالصَّلاة فقط، لكنَّ الصلاة تُعتبرُ الأنموذج الأعلى، الأنموذج الأوضح بينَ العبادات - **وَمَنْ عَبَدَ الاِسْمَ دُوْنَ الْمَعْنَى** - مَن عَبَدَ الحقيقة الـمُحَمَّديّة، مَن عَبَدَ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمّد، مَن عَبَدَ الأسماء الحُسنى في كُلِّ مراتبها ومظاهرها، من عَبَدَ الأسماء في ظهورها اللفظي، عالمُ الأسماء عالمٌ واسعٌ، مَن عَبَدَ اسماً من هذه الأسماء، من عَبَدَ الأسماء كُلَّها، مَن عَبَدَ مظهراً من مظاهرها فقد كفر.

وَمَنْ عَبَدَ الاِسْمَ دُوْنَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَر، وَمَنْ عَبَدَ الاِسْمَ وَالْمَعْنَى فَقَدْ أَشْرَك - الاسمُ كالكعبة، الكعبةُ جهةٌ نتوجَّهُ إليها جسدياً، والاسمُ جهةٌ نتوجَّهُ إليها معنوياً، فنحنُ لا نعبدُ الكعبة وكذلك لا نعبدُ الاَسم، الكعبةُ جهةٌ ماديّةٌ نتوجّهُ إليها اتجاهاً مادياً جسدياً، والاسمُ جهةٌ معنويّةٌ نتوجّهُ إليها اتجاهاً معنوياً.

وَمَنْ عَبَدَ الاِسْمَ وَالْمَعْنَى فَقَدْ أَشْرَك وَمَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى بِإِيقَاع الأَسْمَاء عَلَيْه بِصِفَاته - عمليّةُ إيقاع إفعال، إطعام، عمليّةُ الإطعام فيها هناك من يُطعَم، وفيها هناكَ من يُطعِم، وهناك طعامٌ، وهناك وسيلةٌ لإيصال هذا الطعامَ إلَى الَّذي يُطعَم، عمليّةُ إطعام، عمليّةُ إشراب، عمليّةُ إخراج، عمليّةُ إيقاع، هناك المعنى وهناك الأسماء وهناك وسيلةُ إيقاع هذه الأسماء على المعنى.

الوسيلةُ؛ هي في التوجّه، في توجّه العقلِ والقلبِ إلى وجه الله.

وعبر هذا التوجُّه؛ نُوقِعُ الأسماء على المعنى.

فما هي بعبادة للأسماء، عبادةُ الأسماء دون المعنى كُفرٌ، وعبادةُ الأسماء مع المعنى شركٌ، العبادةُ العَلَويَّةُ الصَّريحةُ؛ أن نُوقِع الأسماءَ على المعنى، والعبادةُ للمعنى فقط، لكن عبرَ هذه الصيغة، عبر صيغة (إيقاع الأسماء على المعنى)، وذلك هو التوجّه.

وَمَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى بِإِيقَاعِ الأَسْمَاء عَلَيْه بِصِفَاتِه الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فَعَقَدَ عَلَيْه قَلْبُهُ وَنَطَقَ بِه لِسَانُهُ فِي سَرَائِرِه وَعَلانِيَتِه فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِين حَقّاً - هذا هو الحديثُ الأوّل.

الحديثُ الآخر:

في الكافي الشريف / الجزء الثامن / طبعةُ دار التعارف للمطبوعات / بيروت - لبنان / صفحة ٣٠١ / رقم الحديث (٥٩٢): **عن إمامنا السجَّاد صَلواتُ الله وسَلامهُ عليه، من أَنَّهُ إِذَا قَرأَ هَذه الآيَة: "وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَا"** - الإمامُ هكذا يقول: **سُبْحَانَ مَنْ لَم يَجْعَل فِي أَحَد مِنْ مَعْرِفَة نِعَمِه إِلَّا الْمَعْرِفَةَ بِالتَقْصِيرِ عَن مَعْرِفَتِهَا** - وهذا هو واقعنا، غايةُ معرفتنا بنعمه وآلائه أن نستشعرَ التقصيرَ في معرفتنا بنعمه وآلائه.

هذا هو الَّذي نقرؤهُ في المناجاة المرويّة عن إمامنا السجَّاد صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه إنَّها (مناجاة الشَّاكرين): **إِلَهِي أَذْهَلَنِي عَن إِقَامَة شُكْرِك تَتَابُع طَوْلِك** - الطَّولُ هو الفضل - **وَأَعْجَزَنِي عَن إِحْصَاء ثَنَائِك فَيْضُ فَضْلِك، وَشَغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ مَحَامِدِك تَرَادُفُ عَوَائِدِك، وَأَعْيَانِي عَن نَشْرِ عَوَارِفِك تَوَالِي أَيَادِيك، وَهَذَا مَقَامُ مَن اعْتَرَفَ بِسُبُوغِ النَّعْمَاء وَقَابَلَهَا بِالتَّقْصِيرِ وَشَهِدَ عَلَى نَفْسِه بِالإِهْمَالِ وَالتَضْيِيع.**

إلى أن تقول المناجاة: **فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ** - كيفَ أشكرك؟ - **فَكَيْفَ لِي بِتَحصِيلِ الشُّكْرِ وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ إِلَى شُكْرٍ فَكُلَّمَا قُلْتُ لَكَ الحَمْد وَجَبَ عَلَيَّ لِذَلِك أَنْ أَقُولَ لَكَ الحَمْد** - وحينئذ لن نستطيع أن نشكره ولن نستطيع أن نحمدهُ.

هذا هو الَّذي يُحدِّثنا عنهُ إمامنا السجَّاد في كلماته الشريفة هنا، وهو هو الَّذي نَظَمَ لنا هذه المناجاة، قرأتُ عليكم من مفاتيح الجنان.

الإمامُ هكذا يقول حين يقرأ هذه الآية: **"وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَا"** - يقول - **سُبْحَانَ مَنْ لَم يَجْعَل فِي أَحَد مِنْ مَعْرِفَة نِعَمِه إِلَّا الْمَعْرِفَةَ بِالتَقْصِيرِ عَن مَعْرِفَتِهَا، كَمَا لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَد مِنْ مَعْرِفَةِ إِدْرَاكِه أَكْثَرَ مِنَ العِلْمِ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُهُ** - هذه الكلماتُ القصيرةُ جِمَاعٌ لكُلِّ ما تقدَّمَ - **فَشَكَرَ جَلَّ وَعَزَّ مَعْرِفَةَ العَارِفِيْنَ بِالتَقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَةِ شُكْرِه** - أمرهُ عجيبٌ أمرهُ عجيبٌ.. كيفَ شكرها؟ شكرهم أن قصَّروا عن معرفة شُكره، عجيبٌ عجيبٌ أمرهُ - **فَشَكَرَ جَلَّ وَعَزَّ مَعْرِفَةَ العَارِفِيْنَ بِالتَقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَةِ شُكْرِه فَجَعَلَ مَعْرِفَتَهُم بِالتَقصِيرِ شُكْرًا كَمَا عَلِمَ عِلْمَ العَالِمِينَ أَنَّهُم لَا يُدْرِكُونَهُ فَجَعَلَهُ إِيمَانَاً** - جعل جهلهم إيماناً، وجعلَ عجزهم عن شُكره شُكرا، هل هناك من أمرٍ هو أعجبُ من هذا؟!

جعل جهلنا إيمانا، وجازانا خير الجزاء على جهلنا هذا، هذا منطقُ التوحيد عندَ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد.

-كَمَا عَلِمَ عِلْمَ العَالمِينَ أَنَّهُم لَا يُدْرِكُونَهُ فَجَعَلَهُ إِيمَانَا، عِلْماً مِّنهُ أَنَّهُ قَدْ وَسِعَ العِبَاد فَلَا يَتَجَاوَزُ ذَلِك - لا يتجاوزُ علمُهُم تلكَ الحدود الَّتي تُقيِّدُ ذواتهم - **فَإِنَّ شَيئاً من خَلْقَه لَا يَبْلُغُ مَدَى عِبَادَتِه مَن لَا مَدَى لَهُ وَكَيْف تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.**

هذان الحديثان؛ الحديثُ الَّذي قرأتهُ عليكم قبل هذا الحديث من الجزء الأوّل من الكافي الشريف عن إمامنا الصّادق، وهذا الحديثُ الَّذي قرأتهُ عليكم من الجزء الثامن من الكافي الشريف عن إمامنا السجَّاد صلواتُ الله وسلامهُ على مُحمَّد وآلِ مُحمَّد، هذان الحديثان يرسمانِ لكم صورةً مُوجزةً مُختصرةً عن كُلّ الَّذي تقدَّمَ ذكرهُ في طوايا كُلّ الحلقات السابقة المختصّة بالصحيفة الخامسةَ الَّتي عنوانها؛ (شؤون عقيدة التوحيد).

أعودُ بكم إلى حديثِ جابرِ الجعفي عن إمامنا السجَّادَ صلواتُ الله وسلامهُ عليه والَّذي قرأتُ عليكم جانباً منهُ قبل قليل:

الحديثُ حديثٌ طويل لكنَّني سأقرأ ما لهُ عُلقةٌ بحديثنا في أجواء الصحيفة الخامسة، ما يرتبطُ بشؤون عقيدة التوحيد، في الجزءُ السادسَ والعشرون من (بحار الأنوار)، الصفحةُ الثالثةُ بعدَ العاشرة بعد مُقدِّمات وبعَد تفصيل، الإمامُ السجَّادُ يقولُ لجابرٍ: **يَا جَابِر، أَوَتَدْرِي مَا الْمَعْرِفَةُ؟ إِثْبَاتُ التَوْحيد أَوَّلاً، ثُمَّ مَعرِفَةُ الْمَعَانِي ثَانياً، ثُمَّ مَعْرِفَةُ الأَبْوابِ ثَالِثَاً، ثُمَّ مَعْرِفَةُ الأَنَام** - بحسب الطبعة، وفي النسخ الأصليّة الصحيحة (ثُمَّ مَعْرِفَةُ الإِمام) وليسَ الأنام، لا معنى للأنام هنا - **ثُمَّ مَعْرِفَةُ الإِمَامِ رَابِعَاً، ثُمَّ مَعْرِفَةُ الأَرْكَانِ خَامِساً، ثُمَّ مَعْرِفَةُ النُّقَبَاء سَادِساً، ثُمَّ مَعْرِفَةُ النُّجَبَاء سَابِعَاً، وَهُو قَوْلُهُ تَعَالَى: "لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِه مَدَداً"** - الحَديثُ يستمر - **وَتَلا أَيْضَاً** - الإمامُ السجَّادُ تلا - **"وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ من بَعْدِه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ حَكِيم".**

- هذا الحديثُ يُضعِّفهُ الَّذين يُضعِّفونهُ لا شأن لنا بهم.

- يفرّ منهُ الَّذين يفرّون من شرحه وبيانه لا شأن لنا بهم.

- شرحهُ شُرّاح بحسبِ ما يريدون أن يشرحوه لا شأن لنا بهم.

السجَّادُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه يقولُ لجابرٍ الجعفي: **يَا جَابِر، أَوَتَدْرِي مَا الْمَعْرِفَة؟** - المرادُ من المعرفةِ هنا معرفةُ الله، ومعرفةُ الله هي معرفةُ الإمام مرّ هذا الكلامُ علينا.

يَا جَابِر، أَوَتَدْرِي مَا الْمَعْرِفَة؟ الْمَعْرِفَةُ إِثْبَاتُ التَوحيد أَوَّلاً - إثباتُ التوحيد أولاً هذا هو الركنُ الأوّلُ من أركانِ عقيدتنا التوحيديّة، التوحيدُ في أفقِ ما قبل الحقيقة المُحمَّديّة، التوحيدُ حيثُ كانَ الله ولَمْ يَكُن معهُ شَيء، وتذكَّروا (كانَ) هذه لا تتحدَّثُ عن الماضي عن ماضي الزمان، نحنُ نتحدَّثُ عن الذَّات الأولى ليسَ هناك من قيود زمانيّة ولا مكانيّة.

هنا يَشرحُ لنا إمامنا السجّادُ معنى إثباتَ التوحيد: **يَا جَابِرُ، إِثْبَاتُ التَوْحِيْد وَمَعْرِفَةُ الْمَعَانِي. أَمَّا إِثْبَاتُ التَوْحيد؛ مَعْرِفَةُ الله القَدِيم الغَائِبِ الَّذي لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَار وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَار وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيْر، وَهُوَ غَيْبٌ بَاطِنٌ سَتُدرِكُهُ كَمَا وَصَفَ بِه نَفْسه** - وإنَّماَ يصلُ إلينا هذا الوصفُ عبرَ المعصوم.

إذاً المعرفةُ إثباتُ التوحيد أولاً، وكما قلتُ لَكم هذا هو الركنُ الأوَّل منَ أركانِ عقيدتنا التوحيديةَ - **يَا جَابِرُ، إِثْبَاتُ التَوْحِيد وَمَعْرِفَةُ الْمَعَانِي. أَمَّا إِثْبَاتُ التَوْحيد؛ مَعْرِفَةُ الله القَدِيم الغَائِب الَّذي لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَار وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَار وَهُوَ اللَّطِيْفُ الخَبِيْر، وَهُوَ غَيْبٌ بَاطِنٌ سَتُدرِكُهُ كَمَا وَصَفَ بِه نَفْسه** - لا كما نصفهُ نحنُ، لا كما يصفهُ النَصيريّون، لا كما يصفهُ الصوفيون، لا كما يصفهُ العرفانيون، كما يصفهُ مُحمّدٌ وآلُ مُحمّد، التوحيدُ عقيدةٌ وفكرةٌ عن الله سبحانهُ وتعالى نأخذها من المعصوم فقط وفقط وفقط.

وَأَمَّا الْمَعَانِي - هذا هو الأفقُ الثاني الركن الثاني، التوحيدُ في الأفق الثاني في أفق الحقيقة المُحمَّديَّة، حيثُ كانت ولم يكن معها شيء، (وكانت) الحديثُ هنا ليس عن الزمانِ وعن المكان، فالحقيقةُ المُحمَّديَّةُ وجه الله اسم الله الأعظمُ الأعظمُ الأعظم الَّذي خلقهُ فاستقرّ في ظلِّه فلا يخرجُ منهُ إلى غيره، فليس هناك من زمانٍ ولا مكان - **وَأَمَّا الْمَعَانِي؛ فَنَحنُ مَعَانيه** - الإمامُ السجّادُ يتحدَّثُ عن الحقيقة المُحمَّديّة عبرَ مُحمَّد وآلِ مُحمَّد الَّذينَ هُم الوجهُ الأعظمُ، الاسمُ الأعظم لتلكَ الحقيقة العظمى - **وَأَمَّا الْمَعَانِي فَنَحْنُ مَعَانيه وَمَظَاهِرُهُ فِيكُم اخْتَرَعَنَا** - اخترعَ مُحمَّداً وآلَ مُحمَّد - **مِنْ نُورِ ذَاته** - نُورُ ذاته الحقيقةُ المُحمَّديَّة - **اخْتَرَعَنَا مِنْ نُورِ ذَاته وَفَوَّضَ إِلَيْنَا أُمُورَ عِبَادِه، فَنَحْنُ نَفْعَلُ بِإِذْنِه مَا نَشَاء وَنَحْنُ إِذَا شِئْنَا شَاءَ اللهُ، وَإِذَا أَرَدْنَا أَرَادَ الله، وَنَحنُ أَحَلَّنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا المَحَل وَاصْطَفَانَا مِنْ بَيْنِ عِبَادِه وَجَعَلَنَا حُجَّتَهُ فِي بِلَادِه** - الكَلامُ هنا فيهِ حالةٌ برزَخيّةٌ بينَ الحديثِ عن الركن الثاني وعن الركن الثالث، إلَّا أنَّ إمامنا السجَّاد أشارَ إلى الركن الثالث من أركان عقيدتنا التوحيديّة حين قال:

يَا جَابِر أَوَتَدْرِي مَا الْمَعْرِفَة؟ الـمَعْرِفَةُ إِثْبَاتُ التَوحيد أَوَّلاً - هذا الركنُ الأول.

ثُمَّ مَعرِفَةُ الْمَعَانِي ثَانياً - حدَّثنا إمامنا السجَّاد عبرهم عن الحقيقة المُحمَّديَّة.

ثُمَّ مَعرِفَةُ الأَبْوابِ ثَالِثَاً ثُمَّ مَعْرِفَةُ الإِمَامِ رَابِعَاً - ثالثاً ورابعاً الركنُ الثالثُ من أركانِ عقيدتنا التوحيديّة، الأبوابُ هم، إنَّهم الأبواب الَّتي فتحها اللهُ لنا، ومنها يؤتى الله.

ثُمَّ مَعْرِفَةُ الأَرْكَانِ خَامِساً - الأركانُ ما هُم رجالٌ، الأركانُ عنوانٌ إلى أركانِ ديننا، الإيمانُ ما هو؟ الإيمانُ عقدٌ في الجنان وإقرارٌ باللسان وعملٌ بالأركان، إنَّها أركانُ ديننا الَّتي أُمرنا أن نصبر عليها وأن نُصابِر وأن نُرابط؛ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ**﴾، الركنُ الرابعُ ما هو؟ الركنُ الرابع عقيدةُ التوحيد في البعد النظري والعملي في تطبيقه على عقولنا وقلوبنا وعلى أقوالنا وأفعالنا..

ثُمَّ مَعْرِفَةُ النُّقَبَاء سَادِساً، ثُمَّ مَعْرِفَةُ النُّجَبَاء سَابِعَاً - هؤلاء رجال؛ النُّقباءُ والنُّجباء رجال، إنَّهم نُخبةُ شيعة الحُجَّة بن الحسن، ليس في زمان الغيبة، في زمان الظهور، لا أبالي بمن شرحَ النُّقباءَ والنُّجباء كما تشرحُ الصوفيّةُ ووضعوا أعداداً مثلما تضعُ الصوفيّةُ أعداداً لهذه العناوين، لا شأن لي لا بالصوفيين ولا بالعرفانيين ولا بالشيخيين ولا بغيرهم.

النُّقباءُ بحسبِ أحاديثهم اثنا عشر، هم أقربُ الشيعة إلى صاحب الأمرِ عند ظهوره، لا نعرفُ أسماءهم، رُبَّما، رُبَّما، رُبَّما من القرائنِ وليس من النصوص الواضحة الصريحة هناك قرائن وهي قرائنُ قويّةٌ من القرائن (اليمانيّ).

أمّا النُّجباء فليسَ لهم من عددٍ مُعيّن، ليسوا كثيرين لكن ليس لهم من عددٍ مُعيّن، هم يأتون في المرتبة بعدَ النُّقباء، النُّقباءُ أوَّلاً وبعدَ ذلك يأتون النجباء. هذه معرفةٌ تكونُ نافعةً في وقتها، في وقت الظهور الشريف، أمَّا في زمان الغيبة فإنَّنا لا نعرفُ شيئاً عن النُّقباء وعن النُّجباء.

ثُمَّ مَعْرِفَةُ النُّقَبَاء سَادِساً، ثُمَّ مَعْرِفَةُ النُّجَبَاء سَابِعَاً - معرفةُ الأركان، معرفةُ النُّقباء، معرفةُ النُّجباء، هذه كُلُّها تدخلُ في الركن الرابع من أركانِ عقيدتنا التوحيديّة، فالعملُ بالأركانِ هو تطبيقٌ على المستوى النظري والعملي في حياتنا لِما تقدَّم من عقيدةِ التوحيد في الأركان الثلاثة المتقدِّمة، معرفتنا بالنُّقباء والنُّجباء ستزيدنا وُضوحاً وبصيرةً ورؤيةً في الركن الرابع من أركانِ عقيدتنا التوحيديّة، فهؤلاء هم النُّخبةُ، هؤلاء هُم القُرى الظاهرة فيما بيننا وبينَ إمامِ زماننا، هؤلاءِ هُم الَّذين سيشرحونَ لنا، سيُفسِّرونَ لنا ماذا يُريدُ إمامُ زماننا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه، معرفتنا بهم، علاقتنا بهم ستكونُ سبباً

في ازدياد معرفتنا على المستوى النظري والعملي، معرفتنا بهم ستكونُ سبباً في انجلاء بصائرنا بشكلٍ نظريٍ وعمليٍ في واقع خدمتنا لإمامِ زماننا، من خلال معرفتنا بهؤلاء، من خلال علاقتنا مع هؤلاء.

هَكذَا نقرأ في زيارة عاشوراء، نُخاطبُ الحُسينَ صلواتُ الله وسلامهُ عليه: **فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُم** - وماذا بعد؟ - **وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُم** - هؤلاء هُم النُّقباءَ والنُّجباءَ - **فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُم وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُم وَرَزَقَنِي البَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُم.**

مرَّت الإشارةُ إلى هذا فيما يرتبطُ ما جاء مذكوراً في دُعاء شهرِ رجب الَّذي كُنتُ أُحدِّثكم عنهُ قبل قليل: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وِلَاةُ أَمْرِكَ** - نقرأ في هذا الدعاء: **صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآله وَعَلَى عِبَادِكَ الْمُنْتَجَبِين** - زينبُ الكُبرى، فَاطِمَةُ المعصومة، العبّاس بن أميرِ المؤمنين، الحمزةُ عمُّ النَّبي، القائمةُ الَّتي تعرفونها.

صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآله وَعَلَى عِبَادِكَ الْمُنْتَجَبِينَ وَبَشَرِكَ الْمُحْتَجِبِيْن - إنَّهُم شيعةُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد من المرسلين ومن الأنبياء ومنَ النُّقباء ومنَ النُّجباء هؤلاء هم البشرَ المحتجبونَ الَّذين أدركوا أنَّ مُحمَّداً هو الحجابُ الأعظمُ فيما بينهمَ وبينَ الله، هؤلاء النُّقباء والنُّجباء في عصرِ الظهورَ الَّذين أدركوا على وجه الحقيقة من أنَّ الحُجَّة بن الحسن هوَ الحجابُ الأعظم فيما بينهم وبين الله.

يستمر إمامنا السجَّادُ في حديثه مع جابر: **فَمَن أَنْكَرَ شَيْئاً وَرَدَّهُ فَقَد رَدَّ عَلَى الله جَلَّ اسْمُهُ وَكَفَرَ بِآيَاته وَأَنْبِيَائه وَرُسُله، يَا جَابِر، مَن عَرَفَ اللهَ تَعَالَى بِهَذه الصِّفَة فَقَد أَثْبَتَ التَوْحِيْدَ** - من عَرَفَهُ بهذهِ الصفة بكُلّ التفاصيل الَّتي تقدَّمت، ولذا فإنَّ التوحيَد كما قلتُ لكمَ عقيدةٌ وفكرةٌ عن الله نأخذها منَ المعصومِ فقط.

- **يَا جَابِر، مَن عَرَفَ الله تَعَالَى بِهَذه الصِّفَة فَقَد أَثْبَتَ التَوْحِيد، لأنَّ هَذه الصِّفَة مُوافقَةٌ لمَا فِي الكتَاب المُنْزَل وَذَلكَ قَولُه تَعَالَى: "لَا تُدْرِكُه الأَبْصَار وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَار لَيْسَ كَمثْله شَيء وَهُو السَّمِيْعُ العَلِيْم"، وَقَولُه تَعَالَى: "لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَل وَهُمْ يُسْأَلُون".**

قَالَ جَابِر - جابر الجعفي يسأَلُ الإمام السجّاد - **يَا سَيِّدي، مَا أَقَلَّ أَصْحَابِي** - إنَّني لا أعرفُ أناساً بهذه الصفة، إنَّني لا أعرفُ أناساً في الَّذين هم يقولون نحنُ شيعةٌ يعرفون التوحيد بهذه المعرفة - **يَا سَيِّدي، مَا أَقَلَّ أَصْحَابِي، فَقَالَ الإِمَامُ السَجَّادُ: هَيْهَاتَ هَيْهَات، أَتَدْرِي كَم عَلَى وَجه الأَرْض مِنْ أَصْحَابِك؟** - يعني ممَّن يعرفون عقيدة التوحيد كمعرفتك يا جابر؟ - **هَيْهَاتَ هَيْهَات، أَتَدْرِي كَم عَلَى وَجه الأَرْض مِنْ أَصْحَابِك؟ قُلتُ: يَا ابْنَ رَسُوَل الله، كُنتُ أَظنُّ فِي كُلِّ بَلْدَة مَا بَينَ الْمِئَة إِلَى الْمِئَتَين، وَفِي كُلِّ مَا بَيْنَ الأَلف إِلَى الأَلْفَين، بَلْ كُنْتُ أَظنُّ أَكْثَرَ مِن مِئَة أَلف فِي أَطْرَاف الأَرض وَنَوَاحِيهَا** - في كُلِّ الأرض - **قَالَ عَلَيهِ السَّلام: يَا جَابِر، خَالَف ظَنَّك وَقَصِّر رَأيَك** - وَقَد تكون "يا جابِر خَالَفَ ظَنَّك وَقَصِّر رَأيَكَ" - **أَوْلَئِكَ الْمُقَصِّرُون وَلَيسُوْا لَكَ بِأَصْحَاب** - هؤلاء يقولونَ نحنُ شيعةٌ، أنت تتوقَّعُ أنَّهم شيعةٌ، هؤلاء مُقصِّرون. من لم يكن على عقيدة التوحيد هذه هذا مُقصِّرٌ، والمقصرةُ كما قالوا هُم أعداء مُحَمَّد وَ آل مُحَمَّد في الشيعة، الإمامُ يتحدَّثُ عن الشيعة، النَّواصبُ لا يُقالُ عنهم من أنَّهم مُقصِّرون، المقصِّرون في الوسط الشيعي - **يَا جَابِر، خَالف ظَنَّك وَقَصِّر رَأيَك** - قُل عن أنَّ ظني ليس صحيحاً وأنَّ رأيي رأيٌ قاصر - **قُلتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ الله وَمَن الْمُقَصِّر؟ قَالَ: الَّذِيْنَ قَصَّرُوْا فِي مَعْرِفَة الأَئِمَّة** - مثلما قلتُ لكم: معرفةُ الإمام هي معرفةُ الله، معرفةُ الإمام هي معرفةُ العقيدة السليمة، معرفةُ العقيدة السليمة أن نُحيط علماً بتفاصيلِ خارطة العقيدة السليمة على الأقل، بالتفاصيل بحدودها لا أن نذهب بعيداً في أعماقها العميقة.

-**الَّذِينَ قَصَّرُوْا فِي مَعْرِفَة الأَئِمَّة وَعَنْ مَعْرِفَة مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِم من أَمْرِه وَرُوحه** - يُشيرُ بروحه إلى البصيرة الَّتي تتولَّدُ من المعرفة بالعقيدة السليمة.

إلى هنا ينتهي حديثي في الصحيفة الخامسة من صحائف عقيدتنا السليمة الَّتي عنوانها؛ (شؤونُ عقيدة التوحيد).